المحاضرة الأولى في مقياس: المصطلحية

عنوان المحاضرة: تحديد المفاهيم الأساسية في المصطلحية

مفهوم المصطلح لغةً:

- في اللغة العربية:

المصطلح لفظ يُطلق ويُراد به تلك الكلمة الخاصة التي تُستخدم في مجال علمي أو فنّي محدّد، وهي بخلاف الكلمة العامّة التي قد تحتمل عدة جوانب دلالية، فالمصطلح له وضعية خاصة وشروط محددة بدقّة، وهو يساهم في تطور العلوم واقتصادات الأمم المعاصرة، لذلك تمّ تخصيص علم مستقل له، يُعرف بعلم المصطلح أو المصطلحية.

فالمصطلحات إنما هي مفاتيح العلوم ومن دونها لا يمكن ولوج تلك العلوم وفهمها واستيعاب مباحثها واستغراق أبوابها وفتح مستغلقها، لأجل ذلك تعتني الأمم المعاصرة عناية فائقة بهذا العلم حديث النشأة كونه يضبط لها أسس العلوم والفنون على اختلاف مصادرها وتنوّع منابتها، فإذا ما أتمّت العناية به تسنّى لها بعد ذلك النهوض باقتصاداتها وخوض معترك المنافسة مع شتى الدول على جميع الأصعدة، منافسة علمية تثمِر نهضات يتبعها بناء حضارات لا تُقهر.

إذا تساءلنا عن المعنى اللغوي لكلمة مصطلح، فهو يُطلق ويُقصد به (اتفاق جماعة ما على أمر ما) وبالعودة إلى الجذر اللغوي (ص ل ح) نجده يصبّ في معنيين هما: الاتفاق و ضدّ الفساد. والمعنيان مترابطان؛ إذ لا يمكن حدوث الاتفاق الذي به تنهض الأمم والجماعات ما لم يكن محاربا للفساد ناشدا خير تلك الأمم.

وقد وردت عدة مشتقات لهذا الجذر اللغوي (ص ل ح) في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، ولكن لم يرد للفعل اصطلح مشتقات بالقرآن الكريم، بينما نجد له مشتقات في الحديث النبوي، كما سيتضح معنا لاحقا.

-في اللغات الأجنبية:

أما في اللغات الأجنبية فيحمل المصطلح معنى لغويا مستمدا من لفظ (term) وهو لفظ يكاد يكون متفقا عليه من حيث النطق والإملاء باللغات الأوروبية، ويحمل اللفظ دلالة مرتبطة بحدود الزمان والمكان، مثل terminus الذي نعني به آخر محطة للتوقف، وكذلك terminal بمعنى المنتهى أو السنة النهائية، أو term بمعنى السداسي أو الفصل الدراسي، أو terminaison بمعنى الحروف في أواخر الكلمات، وهي دلالات ترجع إلى ألأصلين اليوناني واللاتيني، فلهذه الكلمة في اللغات الأوروبية اشتقاق مزدوج، إذثمة تأصيل يوناني وآخر لاتيني، فأما الدلالة اليونانية فالمقصود بها في مجال الألعاب الرياضية الهدف الذي تعدو إليه الخيل، والعلامة التي توضّح مدى رمية القرص، وتدلّ كذلك على أعلى نقطة يصل إليها اللاعب، ثم تغيّرت هذه الدلالات وتطوّرت فأصبحت تدلّ على النهايات مادية كانت أو معنوية.

وأما الدلالة اللاتينية فتصبّ في معنى الحجر الذي يميّز حدود منطقة ما، فهي النهاية أو الطرف البعيد أو الحدّ الأقصى، بل إن هذه الكلمة (term) استخدمت على مدى عدّة قرون بمعنى الحقل، قبل أن تصبح دالّةً على الحدّ المنطقي وهو استخدام معنوي لها، فهي بذلك قد تحوّلت من دلالة حسيّة إلى أخرى معنوية.

وأما من الناحية الاصطلاحية لهذا اللفظ (term) فهو لا يبتعد كثيرا عن لفظ كلمة عندهم (mot) وقد صنّفته معاجمهم الغربية تحت هذا المسمّى، ومن المؤكد أن المصطلح لا يرادف الكلمة وليس مشابها لها أو مقابلا لها، فهو يختلف عنها في نقاط جوهرية، إلا أن تطور المصطلحية مع مطلع القرن الميلادي العشرين حدّد دلالة المصطلح بدقة وجعله له حيّزا دلاليا يفرق عن الكلمة واللفظة والوحدة وغيرها من الألفاظ المشابهة.

بالعودة للغة العربية في تعاملها مع لفظ (المصطلح) نجد القدامى تعاملوا معه تعاملا خاصا سيتمّ توضيحه في المحاضرة الثالثة، بينما معناه الاصطلاحي في العصر الحديث مستمد من نظرة الغربيين لهذا العلم المستحدث ولوحداته الأساسية، فقد بات العرب على دراية تامة وواضحة بمفهوم المصطلح في عصرنا الحالي، وخصّصوا له مجالات بحثية واسعة.

المفهوم الاصطلاحي للمصطلح:

فما هو المعنى الاصطلاحي للفظ (مصطلح)؟

المصطلح لفظ قائم على دعامتيْن هما: الرمز والمفهوم، فالرمز يقابل الدالّ اللغوي، والمفهوم يقابل المدلول، لكنهما يفترقان عن بعضهما، إذ ليس كلّ رمز دالاّ ولا كل مفهوم هو مدلول، لأن الرمز أدقّ والمفهوم أوسع من مجرد مدلول أو تصوّر ذهني. فالرمز اللغوي قد يكون حرفا أو مجموعة حروف مشفوعة برقم أو علامة هندسية أو شكلا رياضيا أو معطى حسابيا، والمفهوم قد يكون معنى تجريديا وقد يكون اختراعا أو اكتشافا محسوسا....

يعرَّف المصطلح على أنه: "كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدّد وصيغة محدّدة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدّد."

نفهم من هذا التعريف أن المصطلح قائم على رمز واحد ومفهوم واحد في مجال علمي أو فنّي محدد، وهذا اللفظ عندما يسمعه الإنسان في موقف لغوي عامّ يشعر حتما أنه لفظ غير عادي وغير عامّ، فهو لفظ قابل للانتقال إلى الاستخدام في اللغة العامّة دون أن يفقد علاقته بالتخصص.

ومن تعريفات المصطلح أيضا أنه "كلمة أو مجموعة كلمات من لغة متخصصة (علمية أو فنية أو تقنية الخ) موروثا أو مقترضا ويُستخدم للتعبير بدقّة عن المفاهيم وليدلّ على أشياء مادية محدّدة."

فالرمز اللغوي المكوّن للمصطلح قد يكون كلمة أو أكثر، وقد يمتدّ لسلسلة كلمات يحكمها مقصد دلالي واحد، فلا عبرة لعدد الكلمات في الحكم على المصطلح أنه قائم على رمز واحد، بل يكون النظر للجانب الدلالي المكوّن لذلك الرمز، كما أن الرمز المشكَّل من كلمة أو مجموعة كلمات لابدّ أن ينتمي إلى لغة متخصصة في أي مجال من مجالات العلوم والفنون والتقنية، وهو بذلك قد يكون موروثا مستمدا من التراث اللغوي أو مقترضا من لغات أجنبية حيّة متداولة، وهذا أمر سيتمّ توضيحه في المحاضرة السابعة.

إن الشرط الأساس في تكوين المصطلحات في لغات اليوم هو الدقة عند التعبير عن المفاهيم فلا يصحّ اشتراك رمزيْن أو أكثر في حمل تلك الدلالة للمفهوم الذي قد

يكون معنويا مجرّدا أو محسوسا على خلاف التضييق الملحوظ في التعريف السابق.

من أفضل التعريفات الحديثة للمصطلح هو الآتي:

"المصطلح هو الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية وهي عبارة مركّبة استقرّ معناها - أو بالأحرى استخدامها- وحُدّد في وضوح، وهو تعبير خاصّ ضيّق في دلالته المتخصصة، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، ويرد دائما في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدّد فيتحقّق بذلك وضوحه الضروري."

نستنتج من هذا التعريف أن المصطلح – وإن كان مجموعة كلمات مكوّتة لعبارة اصطلاحية – فهو رمز لغوي محدد الدلالة وواضح في الاستخدام، تلك الدلالة ضيّقة وخاصة غير عامّة، فمن شروط المصطلح أنه رمز واضح ودقيق وضيق الدلالة لمفهوم علمي تتحدد مكانته بدقة في منظومة المفاهيم، فلا تختلط مع غيرها، ولا يتحدد لهذا الرمز دلالته إلا في مجال علميّ واحد، بينما قد يمتلك هذا الرمز شحنة دلالية في مجال علمي أو فنّي لآخر، ولا يكون الرمز ناجحا إلا إذا تمّت ترجمته للغات حيّة بإتقان.

غير أن مشكلة الترجمة تلقي بظلالها على كثير من المصطلحات التي تلقى اضطرابا دلاليا بين اللغات خاصة تلك المرتبطة بالهوية والدين والمعتقد، إذ لا نكاد نجد مقابلات لغوية دقيقة أو معترف بها للمصطلحات الإسلامية مثلا في المعتقدات الغربية، والأمر نفسه ينطبق على المصطلحات المتعلقة بالمعتقد المسيحي أو اليهودي في الفكر الإسلامي واللغة العربية.

لابدّ للمصطلح أن يكون بدلالة واحدة في المجال الواحد، على العكس من الكلمات العامة التي يتحدد معناها عن طريق السياق، فتتعدّد دلالات كل كلمة منها، إن المصطلح بخلاف تلك الكلمات العامة محدد الدلالة، ويمكن أن يُفهم معناه إذا ذُكر مفردا، ولكن تعدّد الدلالات في الكلمات العامة يجعل فهمها محتاجا إلى سياق.

ومن شروط المصطلح الوضوح فهو لا يقبل الغموض ولا يقترب منه، لذلك نجده يبتعد عن الترادف أو التعدّد الدلالي أو الاشتراك اللفظي خوفا من الوقوع في المحذور. والوضوح في المصطلح مرتبط رأسا بالوضوح في المفهوم قبل الرمز، ففي أية لغة نجد المفاهيم تسبق الرموز، لذلك تعتمد المصطلحية على وضوح

المفاهيم وتحديد مكانتها بدقة في تلك المنظومة قبل وضوح الرمز المخصص لها في مرحلة تالية. أي أن الحديث عن نجاح الرمز ومناسبته للمفهوم ووضوحه ودقّته يأتي في مرحلة تالية بعد الحديث عن وضوح المفهوم وتحديد طبيعته ومكوّناته.

وبالاختصار نقول: إن المصطلح هو رمز واحد لمفهوم واحد في مجال علمي أو فنّي واحد. وإن المفهوم يسبق الرمز دائما من حيث الظهور والوضوح والدقة.

الفروق بين المصطلح والكلمة العامة

بما أن المصطلح كلمة خاصة تحتاج إلى رمز واحد ومفهوم واحد في مجال واحد، فهي تختلف عن الكلمة العامّة، ومن أهمّ تلك الفروق:

- المصطلح لا يقبل الترادف والاشتراك اللفظي والتعدّد الدلالي عكس الكلمة العادية.
- المصطلح لا يكون فعلا ولا صفة ولا حالاً ولا أداةً ولا اسمَ علمٍ
- المصطلح لا يكون عبارة متعددة الدلالات، فإن اجتمعت فه عدّة ألفاظ وجب أن تحمل جميعها دلالة لمفهوم واحد، فتُشكّل بذلك رمزا مصطلحيا واحدا.
- المصطلح لا يقبل المجاز البلاغي ولا يحمل إلا معنى حقيقيا متداولا بشكل مباشر واضح ودقيق، بخلاف الكلمة العادية التي قد تتداخل فيها الصور البيانية أو تؤدي أكثر من غرض في السياق.
- المصطلح لا يحتاج إلى سياق لأجل تفسيره، بل يحتاج إلى شرح علمي واضح ودقيق، وأما الكلمة العامة فلأجل فهمها نحتاج أحيانا لوضعها في سياق، وذلك لأن أوجهها الدلالية قد تتعدّد.
- لا يكون المصطلح عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي به، بل يكفيها أن تكون دالّة على رمز لغوي واحد.
- لا يحمل المصطلح بالضرورة كلّ صفات المفهوم الدالّ عليه، بل يكتفي بصفة أو صفتين، ولا يستغرق كل الصفات التعريفية لذلك المفهوم، فمصطلح (سيّارة) مثلا لا يدلّ إلا على السير، بينما تلك المركبة الميكانيكية تحمل العديد من الصفات الأخرى التي لا يدلّ عليها هذا المصطلح.

- قد يحتاج المصطلح – بخلاف الكلمة العامة – إلى الاختصار والإيجاز في صيغة رمزه اللغوي، فيأتي أحيانا على هيئة حرف أو مجموعة حروف مرفقة بعدد، مثل (سم2).

فباختصار يمكن القول إن كل مصطلح كلمة أو لفظ، وليست كل كلمة مصطلحا.

مفهوم لغات التخصّص:

ونعني بها لغات العلوم المتخصصة، وهي مقابلة للغات العامة أو لغات التعبير اليومي، وتتّسم لغات التخصص بمصطلحاتها المحدّدة وبتراكيبها الواضحة البسيطة، فلو قمنا بإحصاء عدد المصطلحات في نصّ علمي ما فسوف نُدرك أن عددها قليل جدا مقارنةً بعدد الكلمات العامة في ذلك النص، وعليه فالمصطلحات في اللغة قليلة، وهي في لغات التخصص لا تحتلّ مساحة واسعة.

إن لغات التخصص تحتاج إلى الأسلوب الوظيفي وهو الأسلوب الذي يقوم عليه النص من حيث اختيار الوسائل اللغوية واستخدامها. وثمة تمييز بين الأسلوب الذي يغلب عليه الطابع الاتصالي المتمثل في اللغة اليومية المنطوقة، والأسلوب الجمالي في الفنّ الأدبي، والأسلوب المهني العلمي في التعامل العامّ في مجالات العمل، والأسلوب العلمي في التعبير العلمي المتخصّص، وتوجد لغات التخصص - وفق هذا التقسيم- في أسلوبين وظيفيين اثنين، فهي تضمّ الأسلوب المهني العملي في التعامل العامّ في العمل وفي التناول المباشر للموضوعات العملية، وتضمّ أيضا الأسلوب العلمي في الموضوعات العلمية المختلفة ، ولهذتا فإن مجال المصطلحات واسع باتّساع هذين المجاليْن الكبيريْن، وينبغي في كلا المجاليْن أن يكون المصطلح محدّدا وواضحا حتى يكون صالحا للدلالة المباشرة.